بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 15/10/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

## سلسلة التفسير

# سورة القيامة (5)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

فنحن في تفسير سورة القيامة.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾، [القيامة: 7-15].

سبق في الدروس الماضية أيها الإخوة أن سورة القيامة سورة مكية وهي تتحدث عن حال الإنسان يوم القيامة.

**والإنسان يوم القيامة نوعان:**

- ✓ إما رجل ربَّته شريعة السماء ورباه القرآن الكريم وتربى على يدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فنجا يوم القيامة وسعد وكان من زمرة أناس يقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾، [فاطر: 34]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، [الأعراف: 43]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، [الزمر: 74].

هذه طائفة من الناس تربو على القرآن وعلى السنة وعلى الانضباط بأوامر الله.

✓ وإما نوع آخر من الإنسان ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ المجرم إذا علم أن المحكمة قد أقيمت وأن القاضي قد قام للحساب يقول عند ذلك: ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ .

لكن الصالح والخَيِّر والمجتهد والذي انضبط بأوامر الله عز وجل إذا قيل له: اليوم يوم الحساب علم أن ذاك اليوم هو يوم المكافأة.

فالله عز وجل يحدثنا يوم القيامة عن معالم كونية عامة وعن معالم خاصة ستحدث مع الإنسان.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ أي أن البصر قد شَخَصَ فلم يستطع المرء أن يرتد إليه طرفه من شدة أهوال يوم القيامة.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي ذهب ضوءه.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي بذهاب ضوئهما يقول الإنسان غير المنضبط بالشريعة ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ ، ثم قال الله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ لا عاصم من العذاب لمن لم ينضبط بهذا الشرع ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ .

﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ يا أيها الإخوة هذا الكلام يخصنا جميعاً ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان يُفتح للعبد يوم القيامة تسعة وتسعين سجلاً كلُّ سجل مد بصره.

لذلك من الآن قَرِّرْ الكلام الذي ستعرضه على الله، والأفعال التي ستعرضها على الله، والنوايا التي ستبسط بين يدي الله تعالى لأنه يعلم السرائر ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ، [طه: 7].

من الآن مهما أردت أن تفعل شيئاً، أو أن تقول شيئاً، أو أن تُضمر شيئاً، راقب أن هذا الشيء سينشر بين يدي الله تعالى فإن كان حسناً فأمضه وإن لم يكن فكُفَّ عنه.

قال ابن عباس وابن مسعود في معنى قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ : أي ينبأ بما أسلف من عمل سيِّء أو صالح، وبما أخر من سنة سيئة أو صالحة يُعمل بها بعده.

الإمام النووي من وفيات 676هـ أخرج الإمام النووي خمسين مصنفاً في العلم، إلى اليوم يقرأ المسلمون بهذه المصنفات من مشارق الأرض إلى مغاربها، بل غير المسلمين يقرؤون فيها يعني

أنا لا أعتقد واحداً منكم إلا وقد قرأ في كتاب من كتب الإمام النووي مع أننا لا نعرفه ولم نره فكلنا قرأ في يوم ما من كتاب (رياض الصالحين) وكلنا سمع يوماً ما عن كتاب (الأذكار)، كلنا يحفظ بعض الأحاديث من الأربعين النووية، لا يوجد فقيه معتمد إلا وهو محتاج إلى كتاب (المجموع) للإمام النووي، ألَّف الإمام النووي أكثر من خمسين مصنفاً ينتفع بها المسلمون من أقصى الأرض إلى أقصاها فسينبأ الإمام النووي يوم القيامة بما قدم وأخر.

ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي -كانت غنية وجيهة صالحة- أنشأت في مدينة دمشق مدرستين درس فيها الطلاب مئات السنين من بعدها فستنبأ ست الشام يوم القيامة بما قدمت وبما أخرت، طبعاً إنشاء مدرستين لا يكون بدفع المال فقط بل فيها استمارات وأضابير ومراجعات لجهات خاصة وعامة وحصول على موافقات رسمية ومراجعة لمكاتب تسر ولا تسر وفيه ألم رأس شديد، وفيه الكثير ممن يسألك لماذا تفتح مدرسة، وماذا تريد من وراءها؟ أليس من الخير لك أن تنفق المال على أولادك؟!

إنشاء مدرسة شرعية لا يتم بأسبوع واحد بل فيها إجراءات ورقية بالمكاتب الرسمية مؤلمة إلى أبعد الحدود، وبناء المدرسة تحتاج لتعب ومراجعات مع المهندسين والمقاولين والعاملين عشرات الأيام والأشهر، وبعدها تدفع من المال ما الله به عليم، ثم تقوم بإحضار الأساتذة الخبراء الذين يعملون بإخلاص لإحياء هذه المدرسة، ثم تأتي بالطلاب ليسجلوا فيها.

فكل هذا قدمته ست الشام وماتت عنه فأخرته بعدها.

لذلك أريدكم الآن إذا خرجنا أن نفكر ماذا سأؤخر إذا مت غداً؟

قال لنا أحد الشيوخ مرة -وهو موقف مفيد أن نتخيله-: تخيلوا أننا متنا وأُدخلنا الجنة ووقفنا بين يدي الله لكن لاحظت أن صديقاً من أصدقائك كان معك في الدنيا وعاش نفس حياتك في درجة عالية جداً وأنت في درجة عادية فسألت لماذا حصل على هذه المرتبة؟ فقالوا: هذا الرجل أخَّر أشياء لم تؤخرها فإذا طلبت إليهم، أن تزوره اعتذروا إليك وقالوا: ربما ينزل إليك، لكنك لا تصعد إليه.

صديقك الذي تعمل معه مدخرٌ لأعمال صالحات وأنت لم تدخر، له أوراد في الليل لا تفعلها أنت، له صدقات في السر وصدقاتك بسيطة، عنده برنامج لخدمة دين الله وليس لديك برنامج، له مساعدة للمتضررين ونصرة للمظلومين ولا يهمك هذا الأمر.

بعض الناس فتح لابنه حساب بصندوق توفير البريد ومات الأب والابن زاد في الحساب وكل هذا رِبا فكل ما يحصل عليه الابن من الربا بصحيفة الأب.

صديق عَلَّمَ صديقه التدخين ومن أربعين سنة وهو يدخن وكلها بصحيفة من هداه أول لفافة تبغ.

قال مجاهد: **(ينبأ بأول عمله وآخره)**.

وقالوا: **(ينبأ بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة)**، هناك طاعات مؤخرات وهناك معاصي يسابق إليها.

وقالوا: **(بما قدم من أمواله لنفسه وأخر)** أي خلف للورثة؛ لذلك لا أحد يترك لورثته شيئاً يكون وباله عليه، ولا يخطر في بال أحدكم فيقول: كيف سيعيش أولادي من بعدي؟ فالذي خلقهم بغير إذنك ورأيك وأمرك، والذي كَمَّل خلقهم من غير أن يحاسبك بشيء من الأموال والذي زرع لهم العيون، وأخرج لهم الأسنان، وجعل لهم القلب هو من سيكفلهم.

قال الضحاك: **(ينبأ بما قدم من فرض وأخر من فرض)**.

أي إذا أخر أحدنا صلاة المغرب لقبل العشاء بقليل فصحيح أنك صليت لكن كل هذا سجل ويوم القيامة سينبأ به.

سعيد بن المسَيِّب ذُكر أنه عشرين سنة لم تفته تكبيرة الإحرام في المسجد، وله صديق من عشرين سنة لم يؤذن المؤذن إلا وهو في المسجد.

سعيد بن المسيب حوصر في المسجد النبوي الشريف بسبب حادثة وتعطل الأذان حينئذ فإذا حان وقت الصلاة أَذَّن سعيد وصلى فقالوا: كيف كنت تعلم أوقات الصلاة؟ فقال: كنت أسمع همهمة من قبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

بعض الإخوة عندما يؤذن الفجر يستيقظ بغير منبه أو أحد يوقظه، حتى تقول له: ما الذي أيقظك؟ فيقول: لا أدري. لكنه في الحقيقة كان قد دفع ثمن هذا الأمر بالتزامه بأوامر الله وتقيده بحدود الله.

هناك حديث يجب أن نعرفه لأجل أن يُخَلِّفَ كل واحد بيننا قبل موته شيء من خير حتى إذا مات تنبأ عن هذا الخير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مَسْجِدًا**

بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهَرًا كَرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))، [البيهقي].

لم يمت أحد من الصحابة أو التابعين إلا وقد أوقف شيئاً.

النظام الإسلامي له نظام مالي يقوم عليه فالنظام المالي في الإسلام يقوم على أمرين أساسيين: الوقف والزكاة.

الوقف الآن بشكل مؤقت معطل وإن شاء الله إحياؤه قريب.

على كل حال الصحابة والتابعين لم يمت أحدهم إلا وقد أوقف شيئاً لكن نحن الآن لا أعلم إذا كان بعضنا أوقف شيئاً أو فكر أحدنا أن يوقف شيئاً قبل موته.

أريد منكم الآن أن نفكر في موضوع الوقف.

((عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ)).

ابن عساكر له كتاب في تاريخ مدينة دمشق فالكتاب من سبعمائة سنة ينتفع به الناس.

البخاري له كتاب (صحيح البخاري) من ألف ومائتي سنة ينتفع به الناس.

الطبري ألف كتاباً في التفسير من ألف ومائة سنة تقريباً ينتفع به الناس.

أنت الآن يمكن أن تكون باباً لتنشر علماً تَعْلَمه، فمثلاً: لا تأتي بمفردك إلى مجلس العلم أحضر معك أناس، ربما هذا الذي سيأتي ينتفع أكثر منك، ويعلم العلم أكثر منك، ويكون كل ذلك في صحيفتك.

أكثر مشروع رابح في الحسنات هو الدعوة إلى الله.

عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمِ خيبر: ((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))، [البخاري ومسلم]، وبرواية: ((خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيه الشّمسُ))، [الحاكم والطبراني].

طبيب كويتي توفي من بضعة أشهر أسلم على يديه خمسة ملايين إنسان فهو مشروع دعوي لوحده فكم لهذا من الأجور؟!

لا تعطي في الحفلات من الهدايا ما لا قيمة له، مرة كنت في حفل فأهدي إلي كتاب اسمه (الداء والدواء لابن القيم الجوزية) فاختصرته وجعلته خطبة وبعثت لصاحب الدعوة وقلت له احضر أنت وصهرك هذه الخطبة لأن كل من سيحضر الخطبة سيكونون في صحيفتك.

ربما أحد الحاضرين يعمل أحسن من عمل كل الحاضرين لذلك انشر كلمة الخير.

أحد الإخوة قال لي: أتدري أين تعرفت عليك؟ فقلت: لا أدري، فقال: تعرفت عليك في الصين فقد دخلت لمركز إسلامي فاستعرت بعض الأقراص ثم أتيت إليكم.

((أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ)).

لكن هل يمكن أن يكون ولدك صالحاً بلا مقابل؟

كان عندنا طالب حفظ كل القرآن وهو بالعاشرة من العمر هذا الطالب كان أبوه حلاق وكانت أمه تنزل كل يوم إلى الدورة في الساعة السابعة صباحاً من المهاجرين إلى آخر ركن الدين فيَحضُر الطالب الدورة وأمه تنتظر على الباب، أتى ليتعالج عندي وهو صغير وأخته صغيرة فلما انتهيت من العلاج جلس لينتظر أخته، قالت له أمه: عمر افتح المصحف، فنحن قلنا للناس الذي صنع هذا الطالب هو أبوه وأمه التي كانت تحفظه وتشرف عليه.

كان لي صديق طبيب أسنان وكلما جلسنا مع بعضنا كان يتحرج من موضوع عدد الإخوة والأخوات الذي لديه فانتبهت لذلك وصار فضولاً لدي لأعرف، فمرة جلست معه وقلت له: أنت تهرب من عدد إخوتك فقال لي نحن ستة عشر أخ وأخت ولكن المهم بأن الستة عشر أخ وأخت يحفظون القرآن الكريم وكلهم أطباء وصيادلة ودرجات علمية عالية، والفتيات كلهم من خريجات كلية الشريعة، ثم قال: أصغر أخ في الصف السادس أنهى القرآن الكريم فلما كانت الحفلة أخذنا شريط التسجيل لنسمعه لأمي فصارت أمي تبكي وقالت: الحمد لله أنا الآن انتهت مسؤوليتي عنكم.

((أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ)).

كان المسلمون يجعلون أوقاف خانات، **والخان**: هو فندق لابن السبيل. فكان كثير من الخانات أوقاف.

فكل واحد من بيننا يستطيع أن يفعل واحدة أو أكثر أو ربما كلهم.

هناك رواية ثانية للحديث تقول: عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((سَبْعٌ يَجْرِي أَجْرُهُنَّ لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمَاً، أَوْ أَجْرَى نَهَرَاً، أَوْ حَفَرَ بِئْرَاً، أَوْ غَرْسَ نَخْلَاً، أَوْ بَنَى مَسْجِدَاً، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفَاً، أَوْ تَرَكَ وَلَدَاً يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهُ))، [تفسير القرطبي].

هذه يا أيها الإخوة نماذج يذكرها لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أعمال صالحات تبقيها وتؤخرها في هذه الأرض وكلما كان هذا العمل فيه إتقان أكثر وإخلاص أكثر كان هو عند الله عز وجل أكثر حظوة وأكثر مرتبة لك.

فيا أيها الإخوة الشيء الذي بقي من آجالنا في هذه الحياة ومن أوقاتنا اجعله تفكيراً بمشروع خيري تقدمه إلى الله، وتخدم به دين الله لعلنا إذا وقفنا بين يدي الله وفتحت هذه السجلات يرضى عنا بأعمال صالحات خلَّفناها في هذه الأرض بعد موتنا أو عملناها في حياتنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.